رأي وحوار

الإدارة العلمية للمشروعات

رؤية حضارية في العلاقة بين الفكر الإصلاحي والعملية الإصلاحية

قراءة في خبرة عبد الحميد أبو سليمان

نادية محمود مصطفىٰ*

مقدمة

لماذا خبرة أبو سليمان في الإدارة العلمية للمشروعات؟ وكيفية الاقتراب

يظلُّ للقراءة في عبد الحميد أبو سليمان، وللكتابة عنه، خصوصية تتجاوز هذه الاحتفاءات التقليدية مُتعدِّدة الأنماط؛ فهو ليس احتفاءً للتكريم الـمُعلَن، وإنَّما هو تدبُّر في الخبرة، وتقييم للإنجاز؛ ما ظهر منه وما خَفِيَ؛ لأنَّ مُنجَز عبد الحميد أبو سليمان ليس مُجرَّد كتاب يُقرَأ، أو محاضرات يُستمَع إليها، بل خبرة عملية حيَّة في نطاق مدرسة فكرية هو ركن أصيل من أركان تدشينها وإدارتها وتطويرها علىٰ مدار أربعين عاماً.

* أستاذة العلاقات الدولية الـمُتفرِّغة في كُلِّية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، دكتوراه في العلوم السياسية. مديرة مركز الحضارة للدراسات والبحوث. البريد الإلكتروني: nmostafa56@yahoo.com

تم تسلُّم الورقة بتاريخ 29/ 12/ 2022م، وقُبِلت للنشر بتاريخ 4/ 9/ 2023م.

مصطفىٰ، نادية محمود (2023). **الإدارة العلمية للمشروعات: رؤية حضارية في العلاقة بين الفكر الإصلاحي والعملية الإصلاحية: قراءة في خبرة عبد الحميد أبو سليمان**، مجلة "الفكر الإسلامي المعاصر"، مجلد 29، العدد 106، 273-305. DOI: 10.35632/citj.v29i106.8161

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي 2023 ©

وكذلك تظلُّ الضرورة مُلِحَّة للإمساك بدلالات خبرة "العملية الإصلاحية النوعية أو الشاملة" لمشروع النهوض بالأُمَّة؛ لكي نُقدِّم أوَّلاً إجابةً عن السؤال الـمُركَّب:[1] لماذا لم يتحقَّق النهوض المنشود؟ ماذا أصاب مشروعات الإصلاح والتجديد؟ ما الذي أخفقت فيه؟ ما الذي ينقصها؟

وبالرغم من تعدُّد الأسباب التي توصَّلت إليها هذه الإجابات، فإنَّ من أهمِّها -وأكثرها إغفالاً من جانب المراجعين لمشروعات الإصلاح- جانب "العملية" The process، أو Know-how: كيف يتمُّ إنتاج الفكر الإصلاحي؟ كيف يتمُّ نشره؟ هل يتحوَّل إلى مؤسسات على أرض الواقع؟ هل يُركِّز على جانب واحد من الإصلاح أم يتشابك مع غيره؟ كيف يكون ذلك؟ هل تتوافر له الحاضنة الرسمية أم يظلُّ جُهْداً مجتمعياً بالأساس؟ هل عَبَرَ حدودَ الدولة الواحدة ليصير أُمياً أم ظلَّ قابعاً في نطاق قومي مُحدَّد؟ هل استطاع التعبئة العامة أم ظلَّ نخبوياً؟

إنَّ "العملية" في خبرة الأعلام ضمن نطاق المدارس الفكرية ليست بأقلَّ أهمية من مضمون الفكر الـمُعلَن أو الفكر المنشور. ومن هنا تبرز أهمية مدخل دراستنا "الإدارة العلمية للمشروعات"، وعنوانها الفرعي: "رؤية حضارية في العلاقة بين الفكر الإصلاحي والعملية الإصلاحية".

عبد الحميد أبو سليمان ليس فرداً مُنفرِداً، وإنَّما هو رائد مؤسسة تحمل فكرة تعمل على نشرها وإدارة تنفيذها في مشروعات مُتعدِّدة الأبعاد؛ إنَّنا نرى عبد الحميد أبو سليمان ركناً من أركان دشَّنت فكرة، وأسَّست مؤسسة، ونفَّذت مشروعات علمية على مستوى الأوطان، وعلى مستوى الأُمَّة عبر الحدود، وعلى الصعيد العالمي. ومن ثَمَّ، فإنَّ الكتابة في عبد الحميد أبو سليمان وعنه تقتضي البحث عن "الكيفية"؛ أيْ عن العملية التي تحوَّلت بها الفكرة إلى واقع. وهو الأمر الذي يتطلَّب منهاجية في عرض الخبرة، تتجاوز مُجرَّد تقديم خارطة الأفكار في الكتب المنشورة. فبالرغم من أنَّ هذه الخارطة

[1] مثل هذه التساؤلات نجدها تتكرَّر في كتابات أبو سليمان، وهي تُمثِّل هاجساً دائماً ومُقلِقاً من جهة، وحافزاً ودافعاً إلى الإسهام فيما قد يعالج المشكلات ويُقدِّم مُقترَحاتٍ وحلولاً أفضلَ من جهة أُخرى.

هي لَبِنة أساسية، فإنَّها لا تكفي وحدها في حالة أبو سليمان؛ فهو يُمثِّل نموذجاً واضحاً -بسيرته ومسيرته- لا يفتأ يُنفِّذ الفكرة، ويتولّى إدارتها، بحيث لا يظلُّ الفكر حبيس الجدران.

والحقيقة أنَّ أهمية هذه الزاوية للحديث عن خبرة أبو سليمان لا تنبع من واقع خاصٍّ مُتَّصِل به، وإنَّما تُرَدُّ إلى غاية عامة مفادها أنَّ الإدارة العلمية للمشروعات هي الحاضر الغائب في مشروعات النهوض والتجديد بصفة عامة.

ومن الملاحظات الجديرة بالعناية التي سجَّلها بعض دارسي المشروعات الحضارية (التجديدية، والإصلاحية، والنهضوية) في الأُمَّة: الفصامات التي تقع بين مُنطلَقات تلك المشروعات ودوافعها، وبين مساراتها، ثمَّ ثمارها ومآلاتها.

وثمَّة ملاحظةٌ ثانية على عامل مُهِمٍّ آخر يُؤثِّر في نوعية المشروعات النهضوية ومساراتها، ويتعلَّق بشخصية الرائد الإصلاحي أو الـمُجدِّد، ومستوى تفكُّره وحركته بين الكُلِّية والجزئية، والسَّعة والضيق. والأهمُّ ... ميوله ونـزوعاته بين ما هو نظري وفكري، وما هو عملي وتفعيلي، ما بين أرباب القلم وأرباب الفعل والتفاعل الواقعي غالباً، وما بين الأقلية التي قد تجمع بين الأمرين. (مصطفى، 2013م، ومصطفى، والبيومي، 2011م)

وفي هذا الإطار، يُمكِن تأسيس النظر في الإسهام الفكري والإصلاحي لأستاذنا عبد الحميد أبو سليمان رحمه الله تعالى؛ إذ لم يكن أبو سليمان -خلال مسيرته الطويلة- ذلك الـمُفكِّر الـمُنعزِل عن محيطه، أو الـمُنكفِئ على ذاته، أو الـمُنفصِل عن أقرانه وإخوانه؛ لا في تأسيس مشروعه الفكري، ولا في مسيرة فعله الإصلاحي والتجديدي إلى أنْ توفّاه الله تعالى.

ومن ثَمَّ، فقد جمع أبو سليمان بذلك بين التأسيس الفكري الرصين والطرح الإصلاحي من جهة، وبين المنـزع التفعيلي والتطبيقي عبر المؤسسات والهيئات العلمية والفكرية والأنشطة الثقافية والتربوية والتعليمية من جهة أُخرى، ولا سيما عبر مشاركته وإدارته ورئاسته عدداً من المؤسسات الكبيرة، وقيادته كَمّاً كبيراً من الأنشطة التي اتَّسمت كلها بالجماعية، والمؤسسية، والاطِّراد، والتراكم،

والانفتاحية، وتعدُّدية الرؤى والمشاركين والاتجاهات. وهي سِمات المنظور الحضاري الإسلامي الذي عزَّزه أبو سليمان، وزكّاه، ومارسه خلال مسيرته العلمية والمهنية.

ولهذا، فإنَّ منهج النظر في أبو سليمان -سيرته ومسيرته وفكره وحركته- يوجِب ملاءمة المنهج لخصائص هذه العناصر كلها، لا سيَّما العلاقة بين المؤسسات العلمية وتدشين المشروعات العلمية الكُبرى وإدارتها، والعلاقة بين هذه المشروعات وإعداد أجيال جديدة لحمْل الفكرة وتطبيقها، وأخيراً العلاقة بين مشروعات السياسات العُليا (السياسة والاقتصاد ...) ومشروعات التجديد المجتمعي (التربية والتعليم والأُسرة ...).

ومن واقع شهادتي ومعايشتي لخبرة أبو سليمان على مدار أربعة عقود (منذ عام 1985م)، فإنَّه يجدر بي أنْ أُسجِّلها في هذه الدراسة؛ لتذكير الأُمَّة بأنَّ مشروعاتها تحتاج إلى إدارة علمية؛ لكي تُثمِر، وتستمرَّ، وتتراكم، وصولاً إلى تحقيق اختراق يقود نحو تجديد حضاري فاعل.

وتتأسَّس منهاجية تسجيل شهادتي على ما يأتي:

1. عدم النظر إلى أبو سليمان بوصفه رئيساً إدارياً للمعهد العالمي للفكر الإسلامي (1999م-2017م) وحسب، بل بصفته أحد مُؤسِّسيه من الرُّوّاد الأوائل في: بناء مبادرة فكرية معرفية لتشخيص أزمة الأُمَّة الحضارية وتفسيرها وعلاجها. وتجسيد الفكرة في مؤسسة. وتنفيذ المشروع الفكري وإدارته عن طريق آليّات هذه المؤسسة ومشروعاتها.

2. تحديد معنى الإدارة العلمية للمشروعات المقصودة بوجه عام، ثمَّ تلك التي نبحث عن خبرة أبو سليمان فيها. وهذا يتطلَّب البحث عن إجابة للسؤالين الآتيين:

- ما أهمية هذا الموضوع بوجه عام؟
- ما وزنه وقَدْره في خبرة أبو سليمان العالِـم ورئيس المعهد؟

3. وضع أبو سليمان ثلاثية: العالَم، وموقعه على رأس مشروع استراتيجي للأُمَّة، وصاحب المشروع الذاتي. ولهذا، فإنَّ إدارة المشروعات العلمية -التي نبحث عن خبرة أبو سليمان فيها- تُحتِّم طرح الأسئلة الآتية عن منهاجية هذه الدراسة:

– كيف تعايش الجانب الذاتي لأبو سليمان والجانب العام المؤسسي للمشروع الاستراتيجي الذي دشَّنه رُوّاد المعهد معاً بالرغم من تنوُّع تخصُّصاتهم ونقاط ارتكازاتهم العلمية؟

–كيف ظهر هذا التنوُّع؟

– هل كان لأبو سليمان طابعه الخاص في إدارة المشروع العلمي (الاستراتيجي، أو الذاتي)؟ أيْ:

– لماذا أَوْلى أبو سليمان مناطق بحثية مُعيَّنة اهتماماً خاصاً؟ (يمثِّل هذا السؤال الوجه الآخر للعُمْلة؛ أي العلاقة بين العام والذاتي في إدارة أبو سليمان العلمية).

–كيف انتقل بها إلى خبرة التطبيق والتفعيل لمشروع "إسلامية المعرفة"؟

– ما وزن مشروعات أبو سليمان الفكرية النظرية مقارنةً بالجانب التطبيقي التفعيلي لها.

– هل مثَّلا وجهين لعُمْلة واحدة؟

4. تعدُّد مستويات خبرة أبو سليمان التي أشهد عليها. فهي من ناحية تمتدُّ بين ثلاثة نطاقات مؤسسية مُتداخِلة (على المستوى الرأسي): المؤسسة الأُمِّ (المعهد)، وفروع المؤسسة ومكاتبها، ومؤسسات مُستقِلَّة مُتعاوِنة بطرائق مُتعدِّدة.

ومن ناحية أُخرى، فقد اتَّسعت النطاقات لتشمل عدداً من المجالات المعرفية البينية الـمُتداخِلة (على المستوى الأفقي): التربية، والاجتماع، والاقتصاد، والفلسفة، والإعلام، والعلوم السياسية، والعلوم الإسلامية.

ومن ناحية ثالثة، فقد اختلفت السياقات المكانية لكلٍّ من أنماط المؤسسات الثلاث، والإمكانيات والموارد البشرية والمالية لكلٍّ منها. وكذلك تباينت أنماط التحدِّيات التي يُواجِهها كلُّ فرع معرفي أو مؤسسة في سياقها المكاني وبخصائصه السياسية أو المجتمعية.

وكل هذا يعني لديَّ ابتداءً تعقُّد مهمة الإدارة العلمية لمشروع الأُمَّة، وكيفية تنفيذه. فكيف أقتربُ من إدارة أبو سليمان لهذه العملية؟

يُمكِن الاقتراب من هذه الإدارة على مستويين مُتوالِيين ومُتراكِمين زمنياً وقطاعياً:

– المستوى الاستراتيجي: يُمثِّل هذا المستوى مشروع المؤسسة الأُمِّ (إسلامية المعرفة)، ورؤية أبو سليمان للاستراتيجية اللازمة للتنفيذ على مستوى الأُمَّة (مستوى الإدارة العلمية الاستراتيجية).

– المستوى التنفيذي: يختصُّ هذا المستوى بإدارة مشروعات تنفيذ "الاستراتيجية الكُلِّية" (مكاتب المعهد، المراكز البحثية المتعاونة، الجامعات الحضارية ...).

وهذان المستويان يُقدِّمان نموذجاً للإدارة بالقوَّة الذكية؛ ذلك أنَّ عناصر القوَّة المادية في الإدارة اندمجت وتحاضنت مع عناصر قوَّة ناعمة لنموذج إدارة أبو سليمان.

أوَّلاً: المستوى الاستراتيجي للإدارة، ورؤية أبو سليمان لأزمة الأُمَّة ومنهاجية الإصلاح في إطار خُطَّة "إسلامية المعرفة"

يُعَدُّ مشروع "إسلامية المعرفة" مشروعاً استراتيجياً للأُمَّة كلها، وهو مشروع مُمتدٌّ ومُتعدِّد المستويات المعرفية والعلمية والتطبيقية. وترتكز شهادتي بخصوص رؤية أبو سليمان لإدارته العلمية لهذا المشروع على المضمون والنتائج لمشروع رائد قام عليه مركز الحضارة، وبتشجيع من أبو سليمان لتقويم "إسلامية المعرفة بعد ربع قرن" من انطلاقها (مصطفى، 2016، ج1، ص41–92).

وكان البحث عن "منهاجية" تنفيذ "إسلامية المعرفة" في الخُطَط الاستراتيجية الـمُعلَنة عنها هو محور الارتكاز في المشروع التقويمي؛ إذ اكتسب أهمية كُبرى في هذه الآونة، بعد مُضِيِّ عشرين عاماً على تأسيس المعهد، وخمسة عشر عاماً على مشروع "العلاقات الدولية في الإسلام" الـمُنبثِق عنه. وكانت الأسئلة التي تختصُّ بـ"المنهاجية" (كيف؟ وإلى أين؟) تتكرَّر أكثر من الأسئلة الأُخرى (ماذا؟ ولماذا؟).

ومن بين ثنايا هذا العمل مُتعدِّد المستويات، فإنَّي سأعرض فقط –وَفق مُتطلَّبات شهادتي على خبرة أبو سليمان في الإدارة العلمية للمشروعات– لرؤية أبو سليمان قبل رئاسته الثانية للمعهد، مقارنةً برؤية رئيسيه الآخرين: إسماعيل الفاروقي وطه العلواني، ثمَّ بعد رئاسته الثانية للمعهد.

1. وجود تنوُّعات وحوارات بين الرُّوّاد الثلاثة بخصوص مفهوم "إسلامية المعرفة" بالرغم من المشترك العام بينهم في تعريف هذا المفهوم (مصطفى، 2016، ج1)

تحدَّثت أماني صالح عن طبيعة المفهوم، ثمَّ عن طبيعة السياق، ثمَّ عن المنهج لدى أبو سليمان، بالقول إنَّ توجُّه أبو سليمان –مقارنةً بالتوجُّه المعرفي والمنهاجي الذي مثَّله الفاروقي والعلواني– يُمثِّل توجُّهاً إجرائياً عُنِي بالجانب التطبيقي المباشر للمفهوم، وهو "أسلمة العلوم الاجتماعية"؛ وذلك بإعطائها فحوىً ومضموناً إسلامياً صحيحاً (مصطفى، 2016م، ج1، ص107). ويرى أبو سليمان أنَّ القضية ليست في تعديل المناهج الغربية، وإنَّما هي في الأساس قضية إصلاح مناهج المعرفة الإسلامية، وتجديد المناهج الإسلامية القائمة، وعلى رأسها منهج الفِقْه (مصطفى، 2016م، ج1، ص141). وكان لا بُدَّ لهذا التمايز في مداخل تعريف مفهوم "إسلامية المعرفة" أنْ ينعكس –بالضرورة– على تمايزات الاستراتيجية المنهاجية بين الرُّوّاد الثلاثة (مصطفى، 2016م، ج1، ص200–275). ويتلخَّص هذا التمايز في هذه الثلاثية بين نقد العلوم الغربية وفلسفتها (الفاروقي)، وبين القراءتين (العلواني)، وبين تجديد عقل الأُمَّة وفكرها ووجدانها (أبو سليمان).

وقد تمحورت رؤية أبو سليمان حول منهاجية تجديد فكر الأُمَّة وإصلاح واقعها، من نقد الفِقْه التقليدي إلى التربية الوجدانية والمعرفية؛ سعياً نحو تحقيق أصالة إسلامية معاصرة. وبذا، فإنَّ أبو سليمان أضاف أُفقاً جديداً إلى القضية المنهاجية وضرورة تكامل الجهود.

هذه الأبعاد الـمُميِّزة لرؤية أبو سليمان حيال منهاجية "إسلامية المعرفة" لم تتبلور مباشرة وبسرعة في المنشورات الأُولى للمعهد عن "إسلامية المعرفة" (1986م) وحسب، بل تبلورت أيضاً بصورة عملية في خبرة خاصة به مع "وحدة المعرفة الإسلامية" في ظِلِّ إدارته للجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا (1988م– 1999م).

ومنذ إدارته للمعهد، تبلورت جوانب أُخرى تتمثَّل في كتاباته المتتالية التي برزت على صعيدها قضية أزمة الوجدان والعقل والتربية؛ تأصيلاً وتطبيقاً (مصطفى، وميرزا، 2021م). وكذلك تبلورت

رؤية أبو سليمان هذه -من ناحية أُخرى- على صعيد ورقتي "الرؤية عن إسلامية المعرفة" اللتين قُدِّمتا -على التوالي- لمؤتمر مستشاري المعهد في واشنطن عام 2000م، ثمَّ في إستانبول عام 2006م (غير منشورتين).

2. تبلور أمور ثلاثة في رؤية أبو سليمان لمنهاجية مشروع "إسلامية المعرفة" بصفة عامة، ومنهاجية إدارته عِلْمياً منذ رئاسته للمعهد

فمن ناحية أُولى، استمرَّ تقليد المعهد في عقد الاجتماعات الدورية لمستشاري المعهد ومكاتبه.

ومن ناحية ثانية، تنامى الاهتمام بمجالات الأُسرة والتربية والتعليم بوصفها مجالات لتطبيق منهاجية إصلاح الفكر الإسلامي وواقع الأُمَّة (مكتب القاهرة نموذجاً).

ومن ناحية ثالثة، استمرَّ الاهتمام بقضية "المنهاجية" والكتاب العلمي عن "منهاجية إسلامية المعرفة" نحو منظور حضاري للعلوم الاجتماعية، وكذلك منهاجية الفكر الإسلامي بصفة عامة في مجالات الحياة الـمُتنوِّعة.

3 ظهور ما كتبه أبو سليمان عن رؤيته لخطَّة تطبيق (أو منهاجية تطبيق) "إسلامية المعرفة" بصورة واضحة في كتاباته عن الخبرات الإدارية التعليمية والتربوية نفسها، ولا سيما الجامعة الإسلامية العالمية

يظلُّ ما كتبه عبد الحميد أبو سليمان عن خبرة الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا مصدراً مُهِمّاً لتلمُّس رؤيته عن منهاجية التطبيق؛ فقد أدرك -شأنه في ذلك شأن الفاروقي والعلواني- أهمية دور المؤسسات التعليمية الفاعلة في تطبيق "إسلامية المعرفة"، ثمَّ أهمية موضعها من الإصلاح الحضاري الإسلامي. ويرتبط هذا الموضع بمفهوم "أبو سليمان" عن "إسلامية المعرفة" نفسها، وعن تكوين مجموعة الرُّوّاد الذين نادَوا بها، ويقع في صميمه مفهوم "وحدة المعرفة" التي دأب المعهد على تحقيقها بأنشطة مُتنوِّعة (أبو سليمان، 2006م، ص74-77).

وقد مثَّلت الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا ساحة حيَّة لتجربة "إسلامية المعرفة"؛ إذ في عام (1988م) دعت وزارة التربية والتعليم الماليزية المعهد إلى تبنّي الجامعة الوليدة، وذلك بعد أنْ عقد المعهد أحد مؤتمراته الدولية عن "إسلامية المعرفة" في كوالالمبور (1984م). وقد تولّى أبو سليمان إدارة الجامعة عقداً من الزمان (1988م–1999م) تمَّ خلالها بناء الجامعة مادياً وأكاديمياً.

وأخيراً، واستكمالاً لحلقة أُخرى من حلقات القراءة في رؤية أبو سليمان رئيساً للمعهد، فيكفي التوقُّف عند جوانب من الطرح الذي قدَّمه أبو سليمان في الاجتماع العام الخامس للمعهد، الذي عُقِد في إستانبول عام 2006م بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على تأسيس المعهد. وهي الجوانب التي تُبرِز عملية الربط بين مفهوم أبو سليمان عن "إسلامية المعرفة" ومفهومه عن "منهاجية تطبيقها"، وعلى النحو الذي يدعم نتائج القراءة في رؤيته، بَدْءاً بكتاب "أزمة العقل المسلم" (أبو سليمان، 1991م)، وانتهاءً بكتاب "الإصلاح الإسلامي المعاصر"؛ إذ قال في ورقة حملت عنوان "إسلامية المعرفة بعد 25 عاماً" (غير منشورة): "وبذلك كانت حركة "إسلامية المعرفة" حركة منهجية ناقدة، لا تقف عند إعادة الثقة إلى النفس بالنبش في التراث بغرض المباهاة به، والتغنّي بسالف أمجاده، والتمترس خلف ذكرياته. كما لا تقف عند حدود التلفيق بالجمع العشوائي الساذج بين الموروث والمستورد، وادِّعاء السَّبْق والتفوُّق الموهوم، ولكنَّها دعوة منهجية جادَّة للتجديد والمراجعة والتنقية وإعادة بناء الأُسس، والقضاء على مصادر الانحراف والتشويه والتخريف والغيبة والجمود؛ لتكون حركة حقيقية للتجديد من القواعد، ومواجهة صريحة واعية علمية تَتَّسِم بالشجاعة العلمية، وبالصراحة مع الذات؛ لتصحيح الـمُنطلَقات، وإعادة بناء العلاقات، وتحرير العقل المسلم، وتمكينه مُجدَّداً من بناء مشروعه الإسلامي الحضاري، الذي يتمتَّع بمصادره الواقعية السُّنِّية، وبمصادره الكُلِّية الروحية الخيِّرة الـمُوثَّقة، التي ليس للإنسان مصادر كُلِّية روحية خيِّرة مُوثَّقة سواها." (مصطفى، 2016م، ج1، ص272–273).

4. رؤية أبو سليمان الـمُتجدِّدة عن عملية إدارة المشروع الاستراتيجي الأُمِّ خلال العقد الأخير من رئاسته (2008م–2018م)

بناءً على تفاعلي المباشر مع عبد الحميد أبو سليمان رحمه الله، أُشير إلى النموذجين الآتيين، وهما من واقع ملفات مركز الدراسات المعرفية الإلكترونية:[2]

أ. في الاجتماع الأوَّل للجنة إعداد كتاب "المنهاجية" بتاريخ 17 أيّار (مايو) 2005م، قدَّم أبو سليمان رؤية جامعة عن عملية إدارة المشروع الاستراتيجي الأُمِّ على مدار ربع قرن وما أنجزته على أرض الواقع، وحدَّد المطلوب في المرحلة التالية. وهي رؤية تُبرِز "العملية" ممزوجة بالمحتوى، وتُظهِر كيف كان تفاعل أستاذنا مع الحضور من العلماء والأساتذة بخصوص كيفية إنجاز أهداف علمية من أهداف المعهد، هي: "المنهاجية"، وماهيَّة المصادر والأدوات اللازمة، وطبيعة الـمُنتَج المطلوب.[3] (كتاب عن "المنهاجية"، 2005م، مركز الدراسات المعرفية).

ب. في عام 2008م، وفي حوار مع فتحي ملكاوي تناول "مشروع رُوّاد إسلامية المعرفة"،[4] قدَّم أبو سليمان رؤية جامعة من زاوية أُخرى، وهي كما طرحها عليه ملكاوي: "توثيق تجربة مشروع خبرة "إسلامية المعرفة" منذ نشأتها إلى الآن؛ رسالةً، ومؤسسةً ... خارج نطاق الأشخاص، وتأتي إسهامات الأشخاص في إطار الحديث عن الفكرة." فما الذي يُميِّز "إسلامية المعرفة"؟ كيف نضجت مع المعهد؟ ما الذي تمَّ إنتاجه بالفعل؟ وما قيمة هذا النوع من الإنجاز؟ ما هي الفجوات؟ أين نحن الآن؟ ما هي التوجُّهات التي يجب أنْ نتوجَّهها نحو المستقبل؟. وكأن السؤال الكبير يتمحور حول "عملية إدارة المشروع الاستراتيجي: من أين؟ وإلى أين؟." وهو ما يمثل تقويم عملية الإدارة العلمية للمشروع الاستراتيجي الأُمِّ، وروافده النوعية ومكاتبه الإقليمية.

---

[2] أشكر الأستاذ خالد عبد المنعم الذي أمدَّني بعدد من هذه الملفات عن "**أنشطة مركز الدراسات المعرفية التي شاركت فيها عبد الحميد أبو سليمان**" بصفتي مديرة مركز الحضارة.

[3] النص كاملاً موجود في ملف إلكتروني غير منشور بعنوان: **تقرير حول اجتماع "كتاب عن المنهاجية"**، الثلاثاء الموافق 17 مايو 2005م، مركز الدراسات المعرفية.

[4] من الملفات الإلكترونية الـمُرسَلة من الأستاذ خالد عبد المنعم بعنوان: "**رُوّاد إسلامية المعرفة**".

والذي جذبني في ردود أبو سليمان، وأنا أبحث في الحوار عن العملية لا المضمون، أمران:

الأوَّل: إصراره على وجود ورقة عمل تُحدِّد المحاور والقضايا المطلوب النظر فيها لا الرصد، بل الإسهام في "إسلامية المعرفة".

الثاني: طلب أبو سليمان من ملكاوي إضافة محور "المنهاجية" إلى المحاور الثمانية التي حدَّدها ملكاوي.

وإجمالاً، فإنَّ النظر الكُلِّي لمحاور هذا الحوار (2008م)، وبالمقارنة مع ما استخلصَتْه دراسة تقويم عملية تنفيذ "إسلامية المعرفة" -التي سَبَق الإشارة إليها- بخصوص محاور هذا التنفيذ من واقع أعمال الرُّوّاد الثلاثة المنشورة عن "إسلامية المعرفة"، وبالمقارنة أيضاً مع تفاعلات الكوادر ومركز الدراسات المعرفية ومركز الحضارة عبر عقدٍ تالٍ (2008م-2018م) من رئاسة أبو سليمان؛ يُمكِن تأكيد القول بأنَّ المشروع الاستراتيجي الأُمَّ بعد أربعين عاماً هو "إسلامية المعرفة" نحو منظور حضاري إسلامي للعلوم الاجتماعية، انطلاقاً من تفعيل التأصيل العام (الجذع المشترك، التكامل المعرفي، ...)، والتنظير الجديد في مجالات معرفية، ونحو التشغيل في عملية تغيير حضاري للواقع القائم.

ثانياً: المستوى التنفيذي للإدارة العلمية: النطاقات والمجالات والأدوات: من الفكر الإصلاحي إلى الحركة الإصلاحية

عمل عبد الحميد أبو سليمان -منذ مقتبل عمره- في المؤسسات الرسمية ثمَّ الأهلية، بوصفها كلها من مؤسسات الأُمَّة، في مجالات التخطيط، والتدريس، وإدارة التعليم، والعمل الطلّابي، وإدارة الـمُنظَّمات، وإدارة المدارس، وإدارة العمل الشبابي على مستوى الأُمَّة، فضلاً عن إدارة معاهد الفكر والبحث العلمي، وإدارة الجامعة، والتأسيس لكل (أو معظم) تلك الهيئات والممارسات التي شارك فيها، فيما يُمكِن إجماله في عنوان: "إدارة عمليات إنتاج الفكر والعِلْم والإصلاح التربوي والتعليمي

والفكري". ولعلنا نستحضر نموذجين مهمين يكشفان عن خبرة أبو سليمان في الإدارة العلمية للمشروعات، وهما:

الأوَّل: تأسيس الجامعات الحضارية (الجامعة الإسلامية العالمية، وجامعة الشرق).

والثاني: مراكز المعهد ومكاتبه (مكتب القاهرة، ومركز الحضارة).

وسأقتصر على المحور الثاني المتعلق بمراكز المعهد لعدة أسباب أهمها: معايشتي وخبرتي العميقة بها، وقراءاتي وإطلالاتي العامة على مشروع الجامعات، ومتابعتي لتقويم الخبرة الـمُقدَّمة عنه من الـمُهتمّين بالتجربة، أو ممَّنْ شاركوا أبو سليمان خبرةَ إدارته لها. كما أن المساحة المتاحة في باب (رأي وحوار) قد لا تتيح المجال للإطناب والتوسّع.

خبرة أبو سليمان مع تطبيق الجماعة العلمية المصرية للمشروع الاستراتيجي

يُمثِّل مكتب المعهد العالمي للفكر الإسلامي (أُنشِئ عام 1981م، ثمَّ تحوَّل اسمه إلى مركز الدراسات المعرفية منذ عام 1996م) ومركز الحضارة للدراسات السياسية (أُنشِئ عام 1997م، ثمَّ تحوَّل اسمه إلى مركز الحضارة للدراسات والبحوث منذ عام 2017م) ركيزتين أساسيتين في إنتاج المشروعات العلمية وإدارة التطبيقات للمشروع الاستراتيجي الأُمِّ؛ تشخيصاً وعلاجاً لأزمة الأُمَّة على المستوى الفكري والعملي.

ولكنْ، وبقَدْر ما كان مركز الدراسات المعرفية المكتبَ الأُمَّ الذي يحتضن كل التخصُّصات، ويُنسِّق التعاون بينها وَفق ما يقتضيه "المشروع الأُمُّ" للمعهد، فقد كان مركز الحضارة يحتضن مجموعة العلوم السياسية بانفتاحها على العلوم الاجتماعية الأُخرى، فضلاً عن علوم الشريعة.

ومركز الدراسات المعرفية منذ الـمُبتَدأ؛ أيْ منذ إعداد مشروع "العلاقات الدولية في الإسلام" (1986م–1996م) من داخل كُلِّية الاقتصاد، وقبل تأسيس مركز الحضارة، ثمَّ مع بَدْء تفعيل نتائج هذا المشروع منذ تأسيس المركز عام 1997م؛ منذ ذلك كله ظلَّ رافداً من روافد التيار الواسع الذي

دشَّنه المعهد. ومن ثَمَّ، فلا يُمكِن أنْ تبدأ شهادتي على خبرة أبو سليمان في الإدارة العلمية للمشروعات على صعيد المركزين دون أخذ أمرين بالاعتبار:

الأوَّل: التشابك والتكامل بين هذين الكيانين، وإنْ ظلَّ لكلٍّ منهما استقلالية إدارته العلمية تحت مِظلَّة إشرافية وتنسيقية واستشارية من أبو سليمان.

والثاني: شهادتي الحيَّة على خبرة إدارة أبو سليمان، وتفاعلي المباشر معها منذ عام 1999م، تبدأ من حيث انتهت خبرتي مع رئاسة طه العلواني؛ فقد بدأْتُ أُعايِش خبرة أبو سليمان في الإدارة العلمية عام 2000م، وكنْتُ أنا نفسي قد بدأْتُ أُولى خطواتي في إدارة مركز يحمل هَمَّ مشروعٍ من مشروعات تطبيق المشروع الاستراتيجي الأُمِّ الذي انتقل هَمُّ إدارته من العلواني إلى أبو سليمان.

وفي إطار نمط إدارة أبو سليمان ذات الصبغة التشاركية التحاضنية الانفتاحية التبادلية المرنة وذات الوجهة والمقصد الثابت، وصلْتُ -بعد نحو عقدين من الزمن- إلى نضج ووعي بمشروع مركز الحضارة، بالرغم ممّا واجهته من تحدِّيات وصعوبات جَمَّة، ساعدت إدارة أبو سليمان لها على تجاوز هذه التحدِّيات والصعوبات وتذليلها.

فقد حظي مركز الحضارة برعاية ودعم مُتفرِّدين من أستاذنا عبد الحميد أبو سليمان مُذْ تولّيه رئاسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام 1999م حتّى وافته المَنِيَّة رحمه الله تعالى. وقد شاركَنا أستاذُنا بنفسه في عديد من الأنشطة؛ إمّا بالتخطيط لها أو بالإسهام فيها بكلمة ورؤية، فضلاً عن دعمها مؤسسياً عبر المعهد ومكاتبه. وهي أنشطة مُتعدِّدة ما بين دورات، ومؤتمرات، وندوات، ومواقع إلكترونية، وإصدارات دورية وغير دورية (فصلية "قضايا ونظرات"، وحولية "أُمَّتي في العالَم").

ومن أهمِّ المجالات العلمية التي أُقدِّم فيها شهادتي على نمط إدارة أبو سليمان لها: المشروعات البحثية، والتدريب، ونموذج المجلس العلمي في الإدارة العلمية التنفيذية. وسأحاول التركيز على الجانب الأول من هذه الثلاثية وهو: إدارة المشروعات البحثية، لما له من تماسّ مباشر بموضوع الإدارة العلمية الفكرية.

إدارة المشروعات البحثية وإصدارات الكتب

جاءت المشروعات البحثية لمركز الدراسات المعرفية ومركز الحضارة على مستوى "التأسيس والبناء المعرفي والمنهاجي الإسلامي"، وعلى مستوى "التفعيل والتشغيل" في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية المختلفة، وبخاصة العلوم السياسية بالنسبة إلى مركز الحضارة.

وكان نظام العمل يتمثَّل في المسار الآتي: وضع الخُطَّة السنوية العلمية للمركز، ثمَّ مشاركة أبو سليمان في اجتماعات لمناقشة أفكارها، ثمَّ عقد حلقات نقاش للتشاور حول المحتوى وخُطَّة التنفيذ لكل مشروع؛ بحثاً وتدشيناً لنتائجه في شكل مؤتمر أو ندوة، مع عقد اجتماعات متابعة لخُطَط التنفيذ حتى اكتمال الـمُخرَجات والندوات والمؤتمرات حول هذا المشروع.

وبعبارة أُخرى، كانت المبادرة تأتي من المركز بالأفكار، أو بناءً على اقتراح من أبو سليمان، وبخاصة على صعيد مركز الدراسات المعرفية الذي اختصَّ بمجالات التربية والاقتصاد والاجتماع، لكنَّه جمع بينه وبين مركز الحضارة ومركز الدراسات الحضارية في كُلِّية الاقتصاد والعلوم السياسية موضوعات بينية مُهِمَّة.

وبقَدْر ما اتَّسم أسلوب إدارة أبو سليمان بخصائصه -كما سنلحظ في الجزأين التاليين- بقَدْر ما كانت خارطة (أو قائمة) موضوعات المشروعات البحثية الـمُمتدَّة -أيّاً كان شكل نشر مُخرَجاتها: موسوعة، كتاب، حولية، تقارير- تعكس طبيعة البِنية وطبيعة المنظور الحضاري الذي تنطلق منه، وتَبْني عليهما مجموعة العلوم السياسية.

ومن أهمِّ هذه المشروعات التي مَرَّت بجميع الخطوات السابقة:

- الأُمَّة وأزمة الثقافة والتنمية (العوضي، ومصطفى، 2007م).

- الجماعة العلمية في العلوم السياسية من منظور حضاري (الحلقة النقاشية: "نحو بناء الجماعة العلمية في العلوم السياسية من منظور حضاري إسلامي"، أغسطس 2008م).

– الحضاري ... المفهوم والمنظور في العلوم الاجتماعية ولدى نماذج فكرية معاصرة (الحلقة النقاشية: "مفهوم الحضاري ومعالم منظور جديد في العلوم السياسية والاجتماعية"، 2010م).

– مشروع "تقويم إسلامية المعرفة" (مشروع تقويم إسلامية المعرفة في ربع قرن، القسم الأوَّل).

– التحوُّل المعرفي والتغيير الحضاري: قراءة في منظومة فكر منى أبو الفضل (مصطفى وعبد الفتّاح وإبراهيم، 2011م).

– مشروع "دراسة النُّظُم السياسية من منظور حضاري مقارن" (مجموعة من الـمُؤلِّفين. 2018م. ومركز الحضارة للدراسات والبحوث (تحرير). 2022م).

– مركز الحضارة للدراسات والبحوث (تحرير). النظم السياسية في التاريخ الإسلامي (2)، سلسلة مشروع النظم السياسية من منظور حضاري مقارن، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث (في مرحلة الطباعة).

– مجموعة من الـمُؤلِّفين. بين الأُمَّة والسُّلْطة ... المفاهيم السياسية من منظور حضاري، سلسلة مشروع النظم السياسية من منظور حضاري مقارن، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث (في مرحلة الطباعة).)

– العلاقات الدولية في عالَم مُتغيِّر (مصطفى، 2016م).

– موضوعات الأعداد الأربعة عشر من "أُمّتي في العالَم" (1998م–2020م).

– إعداد الطبعة الثانية من مشروع "العلاقات الدولية في الإسلام" (2018م–2021م)، وهو آخر المشروعات المحورية التي وافقَنا عليها أستاذُنا رحمه الله.

وقد كانت الأنشطة (مؤتمرات، ندوات) التي تُعقَد في كُلِّية الاقتصاد عن هذه الموضوعات فرصة لتفاعل أبو سليمان مع نطاق أوسع من الأساتذة والباحثين والـمُهتمّين بالشأن العام. هذا حتماً إلى جانب قنوات أُخرى لنشاطه، كما في التدريب والمحاضرات الدورية.

وقد تحمَّس أبو سليمان لمشروع "إنتاج كتب في مداخل العلوم السياسية من منظور حضاري مقارن" (2018م–2022م)، وكانت تلك آخر مبادرات المركز التي حظيت بموافقته وتشجيعه، ولكنَّ

الـمَنِيَّة حالت دون أنْ يرىٰ -رحمه الله- الـمُخرَجات المتتالية لهذا المشروع (فكري، ومصطفىٰ، 2020م. وعز الدين (تحت الطبع)، ومصطفىٰ، 2023م).

وأخيراً، فإنَّ مشروعنا نحن الذي أعددْناه من دون عَرضه عليه، أو مشاركته في أفكاره المطروحة، كان الكتاب التذكاري الذي شَرَع المركز في الإعداد له بمبادرة من محمد يعقوب ميرزا وأحمد الحطّاب، وذلك خلال اشتداد المرض عليه. ويشاء الله سبحانه أنْ ينتهي العمل في هذا المشروع، ويُنشَر إلكترونياً قبل وفاته بأيام معدودات، ثمَّ يَصدر مطبوعاً في كتاب ورقي بعد ذلك بعِدَّة أشهر (مصطفىٰ، 2016م).

وقد جاء الإهداء بالصيغة الآتية: "إهداء من مركز الحضارة للدراسات والبحوث ... تقديراً وعرفاناً ووفاءً لجهود العالِـم عبد الحميد أبو سليمان".

ثالثاً: أبعاد القوَّة الذكية في الإدارة: ملاحظات عن قرب

ينطلق هذا الجزء من ملاحظاتي علىٰ أسلوب أبو سليمان العالِـم والمدير والإنسان، خلال متابعته ومشاركته في تخطيط المشروعات، وانعقاد الأنشطة التنفيذية لها بواسطة مركز الدراسات المعرفية ومركز الحضارة للدراسات السياسية. ومثل ذلك لا تُسجِّله كتب أو تقارير اجتماعات.

ولهذا يُمكِن أنْ أستدعي ما أتذكَّره عن أبو سليمان الإنسان أثناء تفاعلي المباشر معه علىٰ مدار عشر سنوات في إطار منظومات متتالية من الأنشطة الـمُتنوِّعة (مؤتمرات، حلقات، دورات تدريب أو تثقيف) التي نظَّمها المركز في مقرِّه أو في كُلِّية الاقتصاد بالتعاون مع مركز الدراسات الحضارية، وكذلك تلك الأنشطة التي تشارك فيها مع مركز الدراسات المعرفية.

1. اتصاف أبو سليمان بالمدير الـمَرن الذي يعمل في منظومة مفتوحة، لا تَحْكمها قواعد جامدة أو قيود، ولا تُوظِّف ثواباً أو عقاباً مادياً، وتجلّىٰ ذلك في الآتي:

أ. تحرُّك أبو سليمان بمجسّات غير مرئية تُحدِّد منذ البداية صاحب الهَمِّ والهِمَّة والجدارة.

ب. عدم تشدُّد أبو سليمان تجاه أفكار المشروعات التي تُقدَّمُ إليه (في مجالات مُتنوِّعة، أو في مجالِ بحثِه الخاص؛ التربية والتعليم).

ت. موافقة أبو سليمان على مشروع ما (مُنفرِداً، أو ضمن خُطَّة أشمل) لم تكن سوى نقطة النهاية لمرحلة والبداية لأُخرى؛ فهي أوَّلاً موافقة مفتوحة الأُفق بعد تداول في عِدَّة اجتماعات تمهيدية حتّى تنضج الفكرة؛ إذ لم يكن أبو سليمان يفرض رأيه، وإنَّما يطرحه بين الآراء الأُخرى.

ث. إصغاء أبو سليمان للجميع، ثمَّ التحدُّث في النهاية، ليس بوصفه حَكَماً أو مُتَّخِذَ قرارٍ، أو مُوجِّهاً لدَفَّة، بل ليُدلِي برأيٍ جامعٍ شاملٍ يضع فيه يده على ما يعتقد أنَّه مُهِمٌّ من دون مصادرة على المداخل الأُخرى.

ج. عدم اعتبار أبو سليمان هذه الموافقة نهايةً لعلاقته بالإدارة؛ إذ يتوالى عقد الاجتماعات خلال مرحلة التنفيذ لمتابعة وتيرة التقدُّم، عن طريق اللقاء المباشر، لا عن طريق قراءة التقارير. وقد كان الإعداد لكتاب "المنهاجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية" مثالاً (سَبَق طرحه) جيِّداً على ذلك؛ إذ لم يضع أبو سليمان شروطاً مُسبَّقةً للدورات أو مضامينها، بل تطوَّرت المضامين جماعياً بوجوده حتّى تمَّ إقرار جماعي لنموذج مُحدَّد. ولم يتوانَ -رحمه الله- في الاهتمام بالموضوع؛ لأنَّه يخصُّ إعداد أجيال تالية من الباحثين الـمُهتمّين بالمنظور الحضاري، والـمُؤمِنين بالإصلاح المعرفي والفكري أساساً من أُسس إصلاح المجتمعات والنُّظُم في الوطن وعبر حدود الأُمَّة.

2. تقديم أبو سليمان الدعم والمؤازرة لكل فريق جادٍّ ومُنتِج

كان أبو سليمان يستثمر فيمنْ يثق بمهنيته ورؤيته وأدائه ... يُشعِره بأنَّه ينتظر منه الأكثر، ولا يتردَّد في تقديم الدعم المادي أو الدعم المعنوي له.

ولم تكن موافقته على الخُطَط السنوية أو الميزانيات السنوية هي الـمُؤشِّر الوحيد، إنَّما كان حريصاً كل الحرص على الحضور خلال الأنشطة الخاصة بتنفيذ مُخرَجات المشروعات، عِلْماً بأنَّ حضوره لم يكن يقتصر على الجلسات الافتتاحية، وإنَّما كان يمتدُّ ليشمل جميع الجلسات، بحيث

يستمع للمُحاضِرين والمناقشات، ويتجاذب أطراف الحديث مع الشباب خلال أوقات الاستراحة، ولا يُبْدي مَلَلاً، ولا يُظهِر تَعَباً، وإنَّما يحيط الحضور بتواضعه الكريم، فيبدو أشبه بمَنْ ينتظر أنْ يربو الغرس الذي يشارك في رعايته.

3. جِدِّية أبو سليمان وعُلُوُّ هِمَّته

إذ لم تحجبه اهتماماته الـمُتزايِدة بمجالات الوالدية والطفولة والأُسرة -في مرحلة ما- عن الإدارة التكاملية التحاضنية بين جميع مجموعات العمل ذات المجالات المختلفة، ومن ثَمَّ مساندته اهتمامات الآخرين بمجالات مُغايِرة؛ سياسية، واقتصادية، ودولية...؛ إذ لم يطالبْنا أنْ نتحوَّل إلى هذا الـمَنحى الخاصِّ به، الذي أُسمّيه العصب الفقري لأيِّ وطن، والذي يُمثِّل -بحسب المنظور الحضاري- البِنية التحتية لأيِّ نظام مجتمعي أو سياسي أو اقتصادي.

وكان أبو سليمان يُتابِع بأريحية -بوصفه متخصصاً في العلوم السياسية والعلاقات الدولية في بداية مشواره العلمي- الأبعادَ السياسية الداخلية والدولية لهذا المجال النوعي (التربية والتعليم) الذي ارتأى أنَّه مناط أيّ إصلاح بل تثوير، انطلاقاً من رؤية قرآنية ونبوية، وفي ضوء حُسْنِ فِقْه مُتطلَّبات فِقْه الواقع وتحدِّياته.

ولا يُشعِر رؤساء الفرق البحثية بأنَّهم يعملون في مجالات مختلفة؛ إذ كانت مُتكامِلة في نظره. وقد كان الجميع حريصاً على حضور الاجتماعات التمهيدية لمشروعات أيِّ مجال معرفي مُحدَّد.

ومن ثَمَّ كان تشجيعه للمشروعات عابرة الحواجز والحدود المعرفية (الأُمَّة، وأزمة الثقافة، والتنمية نموذجاً خاصاً)؛ أي تلك التي تطرح قضية محورية للأُمَّة من مداخل مُتكامِلة (اجتماعية، سياسية، اقتصادية، ثقافية، ...).

وكذلك اهتمَّ أبو سليمان بالمشروعات التي تَعبر الحواجز بين الداخل والخارج، وبين الثقافات والأديان عبر العالَم؛ فقد شجَّع وساند -مثلاً- فكرة تأسيس برنامج الحوارات، ثمَّ مركز الدراسات الحضارية في كُلِّية الاقتصاد.

4. غلبة التواضع والثقة بالنفس على شخص أبو سليمان

عُرِف أبو سليمان بأنَّه الـمُتواضِع بهدوء وحسم في آنٍ معاً، وكان لا يحيط نفسه بمظاهر الرئاسة والإدارة، فيحضر الافتتاحيات في مقارِّ الكُلِّيات والجامعات المختلفة، من دون أنْ ينتظر استقبال عميد أو رئيس، أو احتفاءً في مكاتب رسمية عُليا، بالرغم من أنَّه رئيس المعهد الـمُتعاوِن -مالياً- لعقد النشاط بعد رعاية المعهد للمشروع عِلْمياً وإدارياً.

5. اتصاف إدارة أبو سليمان بالمرونة المفتوحة التي تَتَّسِع للنقد والتقييم

لم يتوانَ أبو سليمان عن المراجعة والتعديل عند الضرورة، سواء على المستوى الاستراتيجي (أي المعهد كاملاً) أو على المستوى الجزئي النوعي (كما في حالة مركز الحضارة). وقد واكبْتُ عبد الحميد أبو سليمان في ثلاثة من الاجتماعات الدورية التي عقدها المعهد (في فرجينيا عام 2000م، وفي إستانبول عام 2006م، وفي إستانبول عام 2012م). غير أنَّ مُخْرَجات هذه اللقاءات الدورية وتأثيراتها في إدارة المعهد أو إدارة المكاتب لم تكن تُعلَن، أو تُعمَّم، أو تُترجَم في شكل قواعد وأُسس جديدة للإدارة، أو في شكل أجندات موضوعات ذات أولوية. فهل كان هذا تقصيراً أم سهواً من المعهد؟ وهل مثَّل ذلك -في حَدِّ ذاته- نمطاً من إدارة بعض المؤسسات التي لا تُصدِر -بوصفها قيادات عُليا- الخُطَط، ولا تضع المشروعات المطلوب تنفيذها من مكاتب المعهد وفروعه والـمُتعاوِنين معه من الأساتذة والـمُفكِّرين؟ لقد كان المعهد، وكذا أسلوب أبو سليمان في الإدارة بالمثل، يَعُدُّ نفسه صاحب دعوة يعمل على تسويقها ونشرها، والاستجابة لَمَنْ يُبادِر إلى الاقتراب منها أو تبنّيها، والمساعدة على تنفيذها، وكان للمعهد دوافعه ومُسوّغاته لهذا الـمَسْلك.

وقد كان هذا الوضع من أهمِّ الجوانب الإدارية التي قام على نقدها وتقييمها مشروع مركز الحضارة "تقييم مشروع إسلامية المعرفة" (مصطفى، 2006)"، **المسلم المعاصر**، عدد 124، يونيو 2007م).

وكان أبو سليمان خلال زياراته لمكتب القاهرة يحيطنا عِلْماً بزياراته لفروع المعهد الأُخرىٰ والأنشطة التي قام بها، واللقاءات الإدارية مع المجالس العلمية في هذه المكاتب.

ومن الجوانب الأُخرىٰ التي استوعبها أبو سليمان من نتائج مشروع التقييم، ولم يعترض عليها، استخدامُ مركز الحضارة منظوراً حضارياً للعلوم الاجتماعية، وليس "إسلامية المعرفة"، عند التعبير عن جوهر مشروع المعهد وأهدافه العلمية، وذلك في ضوء التمييز بين العملية وطبيعتها (الموصوفة الإسلامية، والـمُنتَج المطلوب (المنظور الحضاري الإسلامي). وقد جَرَتْ حقّاً مراجعات وتقييمات لمشروع "إسلامية المعرفة"، سواء من جانب كوادر المعهد، أو من جانب جهات علمية أُخرىٰ، ثمَّ صدرت بذلك أعداد من دوريات (مجلَّة إسلامية المعرفة) وكتب (عطية، 2009م. ومصطفىٰ، 2016م، ج1، ص275–410).

6. تشجيع أبو سليمان تعدُّد المراكز العلمية وانتشارها في مؤسسات جامعية

من أبرز الأمثلة في هذا الإطار، برنامج حوار الحضارات (2002م–2007م) الذي تحوَّل إلىٰ مركز الدراسات الحضارية (2008م–2014م) في كُلِّية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

إذ أَوْكل إليَّ المرحوم كمال المنوفي عميد كُلِّية الاقتصاد في شهر نيسان (أبريل) عام 2002م مهمة تأسيس برنامج حوار الحضارات، بوصفه أحد البرامج الـمُتخصِّصة في الكُلِّية، وكان يعرف جيِّداً تعاوني مع المعهد العالمي في إطار مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، وفي إطار مركز الحضارة للدراسات السياسية، وكذلك نشاطي في مجال الرؤية الإسلامية للعلاقات الدولية. ومن ثَمَّ، فقد وافق سيادته علىٰ التعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بعد أنْ تولّىٰ منصب العمادة خَلَفاً للأستاذ علي الدين هلال، عِلْماً بأنَّ هذا التعاون قد بدأت أُولىٰ خطواته خلال عمادة علي الدين هلال، ورئاسة نازلي معوض لمركز البحوث والدراسات السياسية، وذلك بانعقاد المؤتمر الدولي لتدشين مشروع "العلاقات الدولية في الإسلام" ومناقشته (1997م)، ثمَّ صدور العدد الأوَّل والعدد الثاني من حولية "أُمّتي في العالَم" (1999م–2002م).

وقد تأسَّس برنامج حوار الحضارات وتطوَّر برعاية المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وبدعم وتشجيع من أبو سليمان الذي كان يحضر افتتاحيات معظم أنشطة البرنامج إلى أنْ تحوَّل إلى مركز.

وفي شهر تشرين الآخر (نوفمبر) عام 2012م، وبمناسبة مرور خمسة عشر عاماً على تأسيس المركز، رحَّب أبو سليمان بعقد احتفالية بهذه المناسبة، اختيرت لها قاعة المؤتمرات في المدينة الجامعية لجامعة القاهرة حيث تنعقد الاحتفالات. وقد وجَّه خلالها أبو سليمان كلمة مرئية مُسجَّلة إلى الحضور الذي تنوَّع ما بين الشباب، والزملاء، والرُّوّاد، والضيوف من دول إسلامية وعربية. وفيها قدَّم -رحمه الله- التحية لجهود المركز وأنشطته داخل كُلِّية الاقتصاد، وأشار إلى أهمية الدراسات الإسلامية الحضارية التي دشَّنها حامد ربيع، وتابع الاهتمام بها تلاميذه. "حيث الحاجة إلى الفكر الجيِّد الذي يُواجِه الأزمات، والذي يستطيع أنْ ينقل الأُمَّة من واقع مُتخلِّف إلى واقع يليق بها وبالإسلام في أداء الرسالة السمحة للإنسانية، ولاستنقاذها للعالَم كله، وليس للمسلمين وحدهم؛ فالإسلام هو دين الإنسانية."

ولمّا انقطعت زيارة أبو سليمان للقاهرة منذ عام 2017م كنْتُ أتواصل معه هاتفياً للسؤال عن صِحَّته، وكان دائم السؤال عن عمل المركز، وأنَّه مُستعِدٌّ للمساعدة وتقديم المطلوب لاستمرار هذا العمل، وبقي هذا الاهتمام والسؤال حتى وفاته.

7. آخر مشاهدي عن جوانب الإنسانية في إدارة أبو سليمان تَتَّصِل بخبرةٍ له معي

تمثَّل ذلك في اقتراح أبو سليمان على جمعية علماء الاجتماع المسلمين، (منظَّمة غير هادفة للربح مقرُّ ها لندن)، برئاسة أنس الشيخ علي؛ منحي جائزتها عن عام 2013م. وهي جائزة تحمل اسم Life Time Achievement Award 2012، وهذه الجائزة تأتي اعترافاً وتقديراً لإنجازات الأشخاص الذين قدَّموا إسهامات تتعلَّق بمجال خبراتهم فيما يَتَّصِل بتدعيم التجانس الاجتماعي، وحوار الأديان، والفكر الإسلامي. وقد حصل عليها في وقت سابق كلٌّ من: علي مزروعي، وعلي عزَّت بيجوفيتش، وزكي بدوي، وإدوارد سعيد، ومارتين لينج، وفؤاد سزكين، ومحمد عبد الحليم،

ومصطفىٰ سيرتش، وسيِّد حسين نصر، وجون إسبوزيتو، وأنور إبراهيم، وشارلز بترورث، وبكر كارلِما. وكنْتُ بهذا التقدير أوَّل امرأة تنال هذه الجائزة.

والجدير بالذكر أنَّ أبو سليمان لم يُفاتِحني في أمر الترشيح حتّىٰ قيام الجمعية بالتواصل معي، بعد موافقتها علىٰ الترشيح، حينئذٍ علمْتُ أنَّ صاحب المبادرة هو أبو سليمان، فقد أراد -رحمه الله- أنْ يختصَّني بهذا التكريم علىٰ هذا المستوىٰ، ولم يَقنع بمُجرَّد تكريم المعهد، في نطاق برنامج تكريم رُوّاد المدرسة المصرية، الذي كان يتمُّ في سياق مركز الدراسات المعرفية، وعلىٰ مدار أعوام متتالية، تمَّ خلالها تكريم رُوّاد، أمثال: حسن الشافعي، ومحمد عمارة، وطارق البشري، وأحمد المهدي.

وقد رأيْتُ أنَّ هذا النمط من التكريم إنَّما هو تكريم أبو سليمان "للمرأة المسلمة" عامة وتقدير جهودها وأدوارها الـمُتنوِّعة، لا المرأة المسلمة العاملة العالِـمة فقط. ومن ثَمَّ، فقد كان هذا التكريم تجسيداً حيّاً لِـما كتب عنه أبو سليمان، وآمن به فيما يختصُّ بالأُسرة والوالدية والتربية، وفي قلبها الأُمُّ.

وكانت رؤية أبو سليمان لوضع المرأة ودورها مُتوازِنة (الجمع بين دورها في الأُسرة -وهو أساس، ولا يرتهن بها فقط، وإنَّما بزوجها أيضاً وسياقها المجتمعي- ودورها العام أيًّا كانت طبيعته؛ طوعياً أو رسمياً، وأيّاً كان مجاله وتخصُّصه).

ولا أنسىٰ أبداً حديثاً بيننا دار بعفوية شديدة في لقاءٍ معه في مكتب الزمالك، وكنْتُ وقتها أرأس قسم العلوم السياسية، وكنْتُ كذلك مُستمِرَّة في إدارة مركز الدراسات الحضارية في الكُلِّية (حتّىٰ يتمَّ تعيين مدير جديد)، وكذا مركز الحضارة للدراسات السياسية. ويبدو أنَّ التعب والإرهاق، بل التوتُّر كان بادياً علىٰ مُحَيّايَ، فسألني أستاذنا: ماذا بكِ؟ فأجبْتُ: أعباء كثيرة لم أَعُدْ أقدر عليها بسهولة كما كان الوضع من قبلُ. فتحدَّث إليَّ مُشجِّعاً، ومُنبِّهاً، بل مُحفِّزاً، وقال ما لم أَنْسَه حتّىٰ هذه اللحظة: "المرأة بعد الأربعين تكون أَدَّتْ رسالتها الأساسية تجاه الأولاد، بحيث قَلَّ اعتمادهم عليها، وكذلك علاقتها مع الزوج تدخل مرحلةً جديدةً من النضج بعيداً عن

"الشِّقاق" أو "الرومانسية"، ومن ثَمَّ تصبح المرأة أكثر قدرةً على العطاء العام؛ خدمةً لأُسرتها ذاتها ولمجتمعها وأمَّتها."

ثمَّ نظر إليَّ مُتبسِّماً، قائلاً: "وأعتقد أنَّكِ تخطَّيْتِ الأربعين ...؟" وكنْتُ حينئذٍ في سِنِّ التاسعة والخمسين؛ أيْ قبل ثلاثة أعوام من تكريمي في شهر نيسان (أبريل) عام 2013م.

وقد وافق أبو سليمان على اقتراحي بأنْ عُقِد حفل تكريمي في رحاب كُلِّية الاقتصاد، وقدَّم بنفسه لي درع الجائزة، وألقى كلمة افتتاحية للحفل، وجَّه فيها التحية إلى المدرسة المصرية للمنظور الحضاري وجهودها في تطوير رؤية حضارية إنسانية للعالَم والواقع الاجتماعي وكيفية تغييره، وذلك في إطار مؤسسي جماعي.

هذا هو أبو سليمان؛ لا يُكرِّم شخصاً، وإنَّما يُكرِّم فكرةً وجُهْداً لخدمة الأُمَّة، وهو نفسه كان أُمَّةً وفكرةً لا فرداً.

وخلاصة القول إنَّ إدارة المشروعات العلمية ليست فقط قواعدَ وإجراءاتٍ وجداولَ زمنيةً ومتابعةً ومراقبةً وتقييماً للإنجازات تحقيقاً للمُخرَجات الـمُستهدَفة من مسؤولي مركزٍ إلى الفروع، وإنَّما هي أيضاً روح العمل الجماعي التي يبثُّها القائمُ على الإدارة؛ أيْ روح التحاضن والتكامل، وروح المسؤولية والهِمَّة، وروح الإخلاص والتفاني، وروح تحمُّل الصِّعاب وتجاوز العقبات، وروح الأُلْفة والسَّكَن والسكينة، وروح التنافس لا الصراع، وروح المحاسبة لا الترصُّد والعقاب، وروح التشجيع والتفاؤل، وروح الحزْم والحسْم لا الصرامة والقسوة، وروح استثارة الهِمَّة من دون تشنُّج، وروح تجاوز الثنائيات من دون صدام، انطلاقاً من القِيَم والمبادئ والأخلاق التي تختصُّ بالعمل الجماعي الحُرِّ ذي السَّعة وَفق رؤية حضارية إسلامية رشيدة.

وهذا يُؤكِّد أنَّ سلوك أبو سليمان في الإدارة كان ترجمةً لِـما يُؤمِن به، ويتحدَّث به وعنه دائماً من قِيَم إصلاح الإنسان، وفكر الجماعة والأُمَّة الـمُنبثِقة عن أساسيات الرؤية الحضارية الإيمانية الإسلامية.

وذاكرتي؛ ذاكرة التفاعل معه على مدار عشر سنوات مُمتدَّة، حُبْلى بالأمثلة الشارحة لكل قاعدة، أو قيمة، أو خُلُق، أو مبدأ ممّا ذكرْتُه آنفاً، ولكنَّ المقام لا يَتَّسِع لحصرها جميعاً.

رابعاً: خاتمة؛ تحدِّيات إدارة المشروع الاستراتيجي الأُمِّ: نموذج أبو سليمان والاستمرارية والتطوُّر في المهام والأدوات والـمُخرَجات

بعد وفاة أستاذنا الجليل، وعلى صعيد مناسبات عِدَّة عُقِدَتْ لتكريمه، تردَّدْتُ، وسادت خلال ذلك مقولات الاستمرارية والاستكمال والتفعيل لأفكاره ومشروعاته، ونمط إدارته الرابط بين الفكر والتطبيق.

وكان السؤال الدائم الذي يقفز إلى ذهني حين الاستماع إلى هذه المقولات هو سؤال مُركَّب: ألا يجب أوَّلاً أنْ نعرف قَدْر الإنجاز الذي حقَّقه أبو سليمان عبر مسيرته في رئاسة المشروع الاستراتيجي للأُمَّة؟ وما نمط التحدِّيات والصعوبات التي واجهها؟ والأهمُّ: ماذا قدَّم كلٌّ منا ليُكمِله على هذا الدرب نحو المقصد والهدف؟

إنَّ إجابة هذا السؤال الـمُركَّب رهن بأمرين اثنين، هما: طبيعة المشروع نفسه، وطبيعة السياق الأكاديمي والسياسي المحيط بتطبيقاته.

1. الإجابة عن قَدْر إنجاز المشروع ومُؤشِّراته (منذ عام 1981م) رهن بطبيعة المشروع نفسه؛ لأنَّه مشروع استراتيجي لتحقيق إصلاح فكري وتغيير حضاري في الأُمَّة، جَرَتْ مسيرته خلال أربعة عقود عبر مشروعات نوعية تنتشر جغرافياً في أرجاء الأُمَّة، وتقوم على تعاون تخصُّصات مُتعدِّدة تسعى لأهداف معرفية وعلمية مُتنوِّعة عبر مسالك وأدوات مختلفة.

إنَّ تنفيذ هذه المشروعات (مركزياً، أو لامركزياً) لا يُمكِن تقدير تأثيره بمُؤشِّرات مُحدَّدة، مثله مثل مشروعات محدودة زماناً ومكاناً؛ ذلك أنَّ مشروعات إصلاح الفكر والتغيير الحضاري إنَّما هي مشروعات مُمتدَّة ومُعقَّدة ومُركَّبة؛ إذ تُمثِّل صناديق مفتوحة لا يتمُّ غلقها أو انتهاؤها أبداً. فهي عملية

مُستمِرَّة بنجاحات وإخفاقات، ويجب أنْ تتداولها المؤسسات والأجيال طالما بقيت هذه الأُمَّة، التي تتدافع عليها الأُمم أحياناً، وتتداول دولها مع غيرها أحياناً أُخرىٰ، وتظلُّ الأُمَّة باقيةً في ظِلِّ حفظ الله لعقيدتها.

وكان أبو سليمان يُدرِك هذه الطبيعة وهذه الصعوبة، وكان يُؤمِن -في الوقت نفسه- بأنَّه يجب التصدّي دائماً لمُتطلَّباتها وَفق الزمان والمكان.

وقد كان رُوّاد المجلس العلمي الأوَّل في مكتب القاهرة (1992م-1996م) يُدرِكون هذه الصعوبة، حين تداولوا (مصطفىٰ، ج1، 2026، ص247-250) حول ماهيَّة مشروع "إسلامية المعرفة"، والدلالة بالنسبة إلىٰ نمط إدارته: هل هو مدرسة؟ هل هو حركة؟ هل هو تيار فكري مُتعدِّد الروافد؟

وكان هذا الأمر (أيْ طبيعة مشروع "إسلامية المعرفة") موضع اهتمام رئيس لدىٰ فريق البحث الذي قام علىٰ مشروع "تقويم إسلامية المعرفة" بعد ربع قرن (سَبَقت الإشارة إليه مِراراً). ويرجع ذلك إلىٰ الاهتمام بنمط تنفيذ المشروع (مركزياً، أو لامركزياً) علىٰ أساس أنَّ مكتب المعهد ومقرَّه في واشنطن قيادة استراتيجية تضع الخُطَّة التي يتمُّ تنفيذها لامركزياً في المكاتب، وعلىٰ المستويات الـمُتحاضِنة من الخُطَّة.

وكانت نتائج المشروع التي أُعلِنت عام 2007م (مصطفىٰ، 2006م) قد أكَّدت -بالنسبة إلىٰ هذا الأمر- أهمية الإدارة العلمية المركزية وضرورتها، وكذا أهمية توزيع المهام تنفيذياً بين مكاتب المعهد؛ تحقيقاً للتضافر والتراكم، واستجابةً لقصور الموارد البشرية اللازمة للتطبيق، فضلاً عن اعتباراتِ "تحاضُن الأُمَّة وتكافلها"، حتّىٰ في المشروعات العلمية. وقد حذَّرت النتائج حينئذٍ من عدم وجود استراتيجية أو سياسات واحدة قدَّمها الرُّوّاد الثلاثة، وعواقب عدم قيام المعهد -بوصفه قيادة استراتيجية- بتطبيق المشروع وإدارته علىٰ صعيد توزيع المهام علىٰ مكاتب المعهد؛ تحقيقاً للتراكم الـمُتزامِن.

غير أنَّ خبرتي مع أبو سليمان، ومع مركز الحضارة، طوال عقدين من الزمن تقريباً، كشفَتْ لي عن صعوبات مُزدوَجة: اختراق الدوائر الأكاديمية العلمانية من ناحية، وصعوبات التواصل والتشبيك الحيِّ الفاعل عبر الحدود مع خبرات مدارس أُخرىٰ لها تعلُّق بـ"المنظور الحضاري الإسلامي" من ناحية أُخرىٰ، وهي بدورها صعوبات محكومة بالسياق الأكاديمي والسياق السياسي المحيطين.

وخلاصة ما كشفت عنه هذه سنوات المعايشة مع أبو سليمان، وسجَّلته أجزاء الدراسة السابقة، أمران:

– رؤية أبو سليمان لماهيَّة المشروع العلمي الاستراتيجي الأُمِّ تُرجِمت في رؤيته للمنهاجية اللازمة للتطبيق؛ ما يعني اتِّساقاً لدىٰ أبو سليمان في تعامله برحابة وانفتاح وتفاعلية مرنة غير مُقيَّدة وغير جامدة لتنفيذ المشروع الأُمِّ علىٰ مراحل وبمداخل مُتنوِّعة، فاتحاً الباب للمبادرات من الـمُهتمّين.

– اكتشافي من خبرة هذه السنين مع أبو سليمان أنَّ ما انتقدْنا عدم وضوحه وتبلوره في منهاجية الرُّوّاد طوال خمسة وعشرين عاماً، وأنَّ ما طالب به مشروع التقييم (أيْ ضرورة وجود منهاجية مركزية مُحدَّدة)؛ ما هو إلّا أمور شبكية تستعصي علىٰ المركزية؛ فهي تُعَدُّ بحُكْم طبيعة النموذج المعرفي الإسلامي، ومصادر التنظير الإسلامية، عملية مختلفة تماماً عن النمط السلوكي الإجرائي في الإدارة؛ أيْ مختلفة عن النمط العلمي للإدارة بالمعنىٰ الضيِّق. وعلىٰ العكس، فهي منهاجية وَفق النمط العلمي بالمعنىٰ الواسع (غير الوضعي، القِيَمي، الأُممي، العابر للحدود والحواجز المعرفية ...).

فالمقاصد، والأنماط التاريخية، والسُّنَن، والقِيَم، والفتاوىٰ، والأحكام الشرعية؛ كلُّها تفرض منهاجيات مُتمايِزة لا يُمكِن حَبْكها في خطوات مُحدودة مُحدَّدة متتالية صمّاء، بحيث تنطبق علىٰ أيِّ ظاهرةٍ في أيِّ زمان ومكان، أو يُمكِن حصرها في جدول زمني محدود.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ مجال التطبيقات للفكرة الأُمِّ هو مجال فسيح تتعدَّد روافده ومداخله كما سبق القول، وتجتهد فيه المحاولات من رؤية إسلامية؛ إمّا لتنظير، وإمّا لطرح فكري يلتحم بواقع مُحدَّد، وإمّا لإبداع في مجال عملي (تربوي، إغاثي، خيري، ...).

ومن ثَمَّ، وإنْ تنوَّعت خبرات مكتب القاهرة ومركز الحضارة، فإنَّ لخصائص إدارة أبو سليمان لهما -عن قُرْب أو عن بُعْد- قاسماً مشتركاً كبيراً، هو قاسم الإدارة الإنسانية.

2. تحدِّيات السياق العام (الدولي، وداخل الأوطان)

لا تنفصل هذه التحدِّيات عن نظائرها الخاصة بطبيعة المشروع. وبقَدْر ما كانت إيجابية أحياناً، فإنَّها كانت سلبية أحياناً أُخرىٰ. وأقصد بالسياق العام: الأكاديمي والفكري، والسياسي بصفة أساسية. فقد كان لهذه التحدِّيات تأثيرها في الإدارة العلمية للمشروعات (عملية، ومُخرَجات) علىٰ أكثر من مستوىٰ ومجال.

إنَّ الحالة العامة الأكاديمية والفكرية بل الإعلامية التي تسودها تجلِّيات النموذج المعرفي الوضعي، والنُّظُم التعليمية والتربوية العامة مُنقطِعة الجذور عن التراث والثقافة والعلوم الإسلامية؛ تُمثِّل جميعها قيوداً أمام تفعيل النموذج المعرفي الإسلامي والرؤية الإيمانية للإنسانية التي تُمثِّل أساس عملية إعادة بناء النموذج اللازم للإصلاح الفكري والحركي (النقيب ومجموعة من الـمُؤلِّفين، 2020م). وقد كان أستاذنا -رحمه الله- مُصِرّاً علىٰ استدعاء أهمية إصلاح هذه الرؤية السائدة، وهذا ما مثلته محاضراته في ملتقىٰ الحضارة الشهري (**الأُمَّة والرؤية الكُلِّية للإصلاح والتجديد: الواقع والمأمول**)، فضلاً عن الكلمات الافتتاحية في جميع الأنشطة التي كانت تطرح ما تعلَّق بالإصلاح ومُنطلَقاته.

بيد أنَّ السياق السياسي العام كان بدوره مُحفِّزاً لهذه القيود العلمية، بل رُبَّما كان مُنشِئاً لها، سواء في أوطان عربية، أو في أوطان إسلامية.

صحيح أنَّ أستاذنا -رحمه الله- درَس العلوم السياسية، ونال شهادة في أحد فروعها (العلاقات الدولية)، لكنَّ مشروعات اهتمامه الذاتي، في نطاق خُطَط تطبيق المشروع الاستراتيجي الأُمِّ، وإنْ لم تتصدَّ مباشرة لأبعاد سياسية، فإنَّها كانت تَمَسُّ أعصاب الأُمَّة وعمودها الفقري، وتَتَّصِل بما يُسمّىٰ في عِلْم السياسة grass roots، أو السياسات الدنيا؛ أي جذور المجتمع وقاعدته؛ فقد كان أستاذنا -

رحمه الله- يُؤمِن بالإصلاح من أسفل، وصولاً إلى التغيير الحضاري الشامل. وهذا الأسفل ليس الأدنى في المرتبة والأولوية، وإنَّما يُحدِّد مُنطلَق البداية. وبالمثل، فإنَّ ما يُسمّى السياسات العُليا (أي مجال السُّلْطة والحُكْم والنفوذ الرسمي) إنَّما تُمثِّل نهاية المسار إلى أعلى، لَمَنْ يريد السُّلْطة من فِرَق الإصلاح وتياراتها؛ فهي مُتنوِّعة في تاريخنا من حيث العلاقة بين الأهداف والأدوات[5] (البيومي والجوهري، 2008م).

ولهذا، فإنَّ الأنشطة التي قام عليها مركز الحضارة، ووجدت رعاية ومشاركة مباشرة من أستاذنا كانت تقع على هذا المستوى من المجالات والقضايا، الذي يعكس ما يُسمّى المفهوم الجديد للسياسة، مقارنةً بمفهوم "السياسة التقليدية الواقعية" التي تُركِّز على الطبقة الحاكمة.

وتأسيساً على ذلك، فإنَّ اهتمام مركز الحضارة ومركز الدراسات الحضارية في الكُلِّية، الذي كان يقوم عليهما أساتذة العلوم السياسية بهذا المستوى من المجالات والقضايا التعليمية والتربوية والدعوية، لا ينفصل عن "السياسة"، بل يقع في قلبها وعقلها وأعصابها، لا في أياديها أو أرجلها فقط؛ ما انعكس بدوره على طبيعة عملية الإصلاح.

رحم الله عبد الحميد أبو سليمان، وأمدَّ إدارة المعهد من بعده وأمدَّنا جميعاً بسواء السبيل.

---

[5] انظر تحليلاً لهذه الإشكالية (أي الأولويات بين مجالات الإصلاح المُتعدِّدة التي تداولْتُ بخصوصها مع أستاذنا في عديد من اللقاءات) في:

- مصطفى، نادية محمود. "العلاقات الدولية للأُمَّة الإسلامية في منظومة فكر الإمام محمد عبده وحركته"، في:
- البيومي، إبراهيم. والجوهري، صلاح الدين (تحرير). **أعمال مؤتمر "الإمام محمد عبده .. مائة عام على رحيله"**، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، بالتعاون مع دار الكتاب المصري في القاهرة، ودار الكتاب اللبناني في بيروت، 2008م.

المراجع

باشا، أحمد فؤاد، وآخرون (2010). **المنهجية الإسلامية**، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

جمعة، علي (2009). **الطريق إلى التراث الإسلامي**، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الحلقة النقاشية (2010). "**مفهوم الحضاري ومعالم منظور جديد في العلوم السياسية والاجتماعية**"، بالتعاون مع كلٍّ من مركز الدراسات المعرفية، ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، كُلِّية الاقتصاد والعلوم السياسية، 24-25 أكتوبر.

الحلقة النقاشية (2008). "**نحو بناء الجماعة العلمية في العلوم السياسية من منظور حضاري إسلامي**"، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، أغسطس. وقد نُشِرت أعمالها في الجزء الثاني من كتاب: مصطفى (تحرير)، **في تجديد العلوم الاجتماعية ... بناء منظور معرفي وحضاري الفكرة والخبرة** (مجلدان).

دورة "التعريف بمداخل العلوم النقلية والتراثية للباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية" (2001م-2002م).

دورة "المنهاجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية: حقل العلوم السياسية نموذجاً" (29 يوليو- 2 أغسطس 2000).

أبو سليمان، عبد الحميد (1991). **أزمة العقل المسلم**، سلسلة المنهاجية الإسلامية (1)، هرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: دار القارئ العربي.

أبو سليمان، عبد الحميد (1982). "إسلامية المعرفة وإسلامية العلوم السياسية"، **مجلّة المسلم المعاصر**، عدد 31 (مايو- يونيو- يوليو).

أبو سليمان، عبد الحميد (2006). **إسلامية المعرفة: رؤية للعشر سنوات القادمة**، ورقة رئيس المعهد إلى الاجتماع العام الخامس لمستشاري المعهد في مؤتمر إستانبول، بمناسبة مرور 25 عاماً على تأسيسه.

أبو سليمان، عبد الحميد (2006). **الإصلاح الإسلامي المعاصر**، القاهرة: دار السلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

صالح، أماني (2008). قراءة في مفهوم إسلامية المعرفة داخل التيار الأساسي للمعهد، في: مصطفى، **في تجديد العلوم الاجتماعية: بناء منظور حضاري مقارن (الفكرة والخبرة)**، مرجع سابق، القسم الأوَّل، ج1.

عز الدين، ناهد. **مدخل في دراسة النظم السياسية**، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث (في مرحلة الطباعة).

عطا، عبد الخبير (2002). تجربة الجامعة الإسلامية في ماليزيا في تدريس العلوم السياسية ... من منظور التكامل بين العلوم الاجتماعية والشرعية، في: منجود، مصطفى (تحرير). **نماذج عالمية في تدريس العلوم السياسية (16–18 مايو 2001)، سلسلة المؤتمرات العلمية (2)**، جامعة القاهرة: قسم العلوم السياسية، كُلِّية الاقتصاد والعلوم السياسية.

عطية، جمال الدين (2009). **إسلامية المعرفة ... الخبرة والمسيرة**، القاهرة: الجمعية العربية للتربية الإسلامية، ودار الفاروق للاستثمارات الثقافية.

العوضي، رفعت. ومصطفى، نادية (تنسيق علمي وإشراف). ومجاهد، أسامة أحمد. وجبريل، أمجد أحمد. ووجدي، علياء (مراجعة وتحرير) (2007). أعمال **مؤتمر "الأُمَّة وأزمة الثقافة والتنمية"**، القاهرة: جامعة القاهرة، برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، بالاشتراك مع دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

فكري، مروة (مُؤلِّف). مصطفى، نادية (تقديم) (2020). **مدخل إلى العلاقات الدولية ... أزمة العولمة وآفاق العالمية**، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ودار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

ماهر، مدحت (2016). خبرة مشروع تقويم "إسلامية المعرفة"، في: مصطفى، نادية محمود (تحرير). **في تجديد العلوم الاجتماعية: بناء منظور حضاري مقارن (الفكرة والخبرة)**، القاهرة: مركز الحضارة، ودار البشير للثقافة والعلوم، القسم الأوَّل، ج1.

مجموعة من الـمُؤلِّفين. **بين الأُمَّة والسُّلْطة ... المفاهيم السياسية من منظور حضاري، سلسلة مشروع النظم السياسية من منظور حضاري مقارن**، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث (في مرحلة الطباعة).

مجموعة من الـمُؤلِّفين. مركز الحضارة للدراسات والبحوث (تحرير) (2018). **نحو دراسة النظم السياسية من منظور حضاري مقارن: مداخل منهجية، سلسلة مشروع النظم السياسية من منظور حضاري مقارن**، القاهرة: مُفكِّرون الدولية للنشر والتوزيع.

محاضرات عبد الحميد أبو سليمان في ملتقى الحضارة الشهري، في: **الأُمَّة والرؤية الكُلِّية للإصلاح والتجديد: الواقع والمأمول**.

محمد، محمد كمال (تحرير) (2010). ثقافات متنوعة في حضارة جامعة، أغسطس 2008م، **سلسلة دورات التثقيف الحضاري (4)**، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، الرابط الإلكتروني: https://bit.ly/3BZBLuG.

مركز الحضارة للدراسات والبحوث (تحرير) (2022). النظم السياسية في التاريخ الإسلامي (1)، سلسلة مشروع النظم السياسية من منظور حضاري مقارن، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ودار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

مركز الحضارة للدراسات والبحوث (تحرير). النظم السياسية في التاريخ الإسلامي (2)، سلسلة مشروع النظم السياسية من منظور حضاري مقارن، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث (في مرحلة الطباعة).

مصطفى (تحرير) (2016). في: **تجديد العلوم الاجتماعية ... بناء منظور معرفي وحضاري الفكرة والخبرة** (مجلدان)، القسم الثالث.

مصطفى، نادية محمود. وعبد الفتّاح، سيف الدين. وإبراهيم، ماجدة (تحرير) (2011). التحوُّل المعرفي والتغيير الحضاري: قراءة في منظومة فكر منى أبو الفضل، **سلسلة قراءة في الفكر الحضاري لأعلام الأمة (2)**، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، دار البشير للثقافة والعلوم.

مصطفى، نادية (2007). "تقرير عن مؤتمر إستانبول بمناسبة مرور 25 عاماً على مسيرة المعهد العالمي للفكر الإسلامي (19–22 ديسمبر 2006)"، **المسلم المعاصر**، عدد 124، يونيو.

مصطفى، نادية (2020). "خبرتي مع إسلامية المعرفة"، في: مجموعة من الـمُؤلِّفين. النقيب، عبد الرحمن (إشراف علمي). **رؤى في إسلامية المعرفة**، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، ودار الفكر العربي.

مصطفى، نادية. وعبد الفتّاح، سيف الدين (تحرير) (2000). **العلاقات الدولية بين خبرة الأصول الإسلامية وخبرة التاريخ الإسلامي (أعمال ندوة مناقشة مشروع العلاقات الدولية في الإسلام)**، القاهرة: جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية (مجلدان).

مصطفى، نادية محمود (تحرير) (2016). العلاقات الدولية في عالَم مُتغيِّر: منظورات ومداخل مقارنة، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 3 أجزاء.

مصطفى، نادية محمود (2008). "العلاقات الدولية للأُمَّة الإسلامية في منظومة فكر الإمام محمد عبده وحركته"، في: البيومي، إبراهيم. والجوهري، صلاح الدين (تحرير). **أعمال مؤتمر "الإمام محمد عبده .. مائة عام على رحيله"**، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، بالتعاون مع دار الكتاب المصري في القاهرة، ودار الكتاب اللبناني في بيروت.

مصطفى، نادية محمود (2016). منهاجية إسلامية المعرفة من المنظور والتأصيل العام إلى خبرة التطبيقات، في: مصطفى، **في تجديد العلوم الاجتماعية: بناء منظور حضاري مقارن (الفكرة والخبرة)**، القسم الأوَّل، ج1.

مصطفى، نادية (تحرير). ميرزا، محمد يعقوب (تقديم) (2021). **قراءة في فكر أعلام الأُمَّة ... في رؤية ومنهاج عبد الحميد أبو سليمان**، فرجينيا: مركز الإسلام في العالم المعاصر، جامعة شناندوا، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث.

مصطفى، نادية محمود (2013). **قراءات في فكر أعلام الأُمَّة**، القاهرة: مركز الحضارة، ودار البشير للثقافة والعلوم.

مصطفى، نادية. وعبد الفتّاح، سيف الدين. وماهر، مدحت. وإبراهيم، ماجدة. وعبد المحسن، سمية (تحرير) (2012). **القِيَم في الظاهرة الاجتماعية**، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ودار البشير للثقافة والعلوم.

مصطفى، نادية (تحرير) (2023). **مدخل في علم السياسة**، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث.

مصطفى، نادية محمود. وعبد الفتّاح، سيف الدين، وآخرون (2002). **المنهاجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية: حقل العلوم السياسية نموذجاً**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومركز الحضارة للدراسات السياسية.

من الملفات الإلكترونية الـمُعَدَّة لدى مركز الدراسات المعرفية، وقد تناول اجتماع المجلس العلمي الثالث الذي عُقِد في شهر آذار (مارس) عام 2012م، (غير منشورة).

منجود، مصطفى (تحرير) (2002). **نماذج عالمية في تدريس العلوم السياسية (16–18 مايو 2001)، سلسلة المؤتمرات العلمية (2)**، جامعة القاهرة: قسم العلوم السياسية، كُلِّية الاقتصاد والعلوم السياسية.

الموقع الإلكتروني للمنظور الحضاري الإسلامي: https://bit.ly/3YPkka8.